

الكتابة التاريخية في الجزائر ودورها في الحركة الوطنية (1900-1954)، {كتابة التاريخ عند الشريف الساحلي
أنموذجاً}

Historical writing in Algeria and its role in the national movement (1900-1954), {The
writing of history according to Al-Sharif Al-Sahli as a model}

الحاج صادق ، نعيمة بوكريديمي

¹ جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)، elhadj.sadouk@univ-alger2.dz
² جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف- (الجزائر) ، n.boukridimi@univ-chlef.dz

تاريخ النشر 2022/05./01	تاريخ القبول: 2022/03/17	تاريخ الإرسال 2021/10./09
ملخص: مثل الشريف الساحلي دعاة استرجاع الاستقلال في كتابته للتاريخ، هذا التيار الذي لم تظهر كتاباته التاريخية إلا بعد الحرب العالمية الثانية، ويعود ذلك إلى ضعف التكوين من ناحية المثقفين القادرين على تحمل هذه المسؤولية من جهة، ومن جهة أخرى لإدراكهم أن الاتجاه الإصلاحية قد غطى جانباً مهماً في هذا الاتجاه، مادام إن الكتابات التاريخية لهؤلاء تصب في نفس اتجاههم بحكم الاشتراك معهم في الإيمان بوجود أمة جزائرية إسلامية يحق لها إقامة دولة الأمة. الكلمات المفتاحية: الشريف الساحلي، كتابة التاريخ، التيار، الاتجاه الإصلاحية، الأمة الجزائرية، دعاة استرجاع الاستقلال، التاريخ الوطني.		
Abstract: Al-Sharif Al-Sahili represented the advocates of restoring independence in his writing of history, this trend whose historical writings did not appear until after the Second World War, and this is due to the weakness of the formation on the one hand, on the one hand, the intellectuals who are able to assume this responsibility, on the other hand, and on the other hand, due to their realization that the reformist trend has covered an important aspect In this direction, as long as the historical writings of these people are directed in the same direction by virtue of sharing with them the belief in the existence of an Algerian Islamic nation that has the right to establish a nation state.		
Keywords: Sharif Sahel, writing history. The current, the reformist trend, the Algerian nation, advocates of restoring independence, national history		

توطئة (مقدمة):

مثل الشريف الساحلي دعاة استرجاع الاستقلال في كتابته للتاريخ، هذا التيار الذي لم تظهر كتاباته التاريخية إلا بعد الحرب العالمية الثانية، ويعود ذلك إلى ضعف التكوين من ناحية المثقفين القادرين على تحمل هذه المسؤولية من جهة، ومن جهة أخرى لإدراكهم أن الاتجاه الإصلاحية قد غطى جانباً مهماً في هذا الاتجاه، مادام إن الكتابات التاريخية لهؤلاء تصب في نفس اتجاههم بحكم الاشتراك معهم في الإيمان بوجود أمة جزائرية إسلامية يحق لها إقامة دولة الأمة.

وبحكم انتماء الشريف الساحلي لهذا التيار (دعاة استرجاع الاستقلال) فقد عبر في مختلف كتاباته عن أيديولوجيتهم منذ أن كان يتعاون مع جريدة (الأمة)، مولياً اهتماماً كبيراً بالتاريخ الوطني، لذا اعتبر من أبرز كتابهم. ومن أبرز مؤلفاته: "رسالة يوغرطة" التي صدرت سنة 1947، "الجزائر تندد" الذي صدر سنة 1949م، "المؤامرة في وجه الشعوب الأفريقية" الذي صدر سنة 1950م، "عبد القادر فارس العقيدة والإيمان" الذي صدر سنة 1953م، وكل هذه الكتب كتبها مؤلفها باللغة الفرنسية بحكم تكوينه الفرنسي.

1. مولده ونشأته

محمد الشريف الساحلي، ديبلوماسي جزائري، ولد بقرية سيدي عيش ببجاية، في 06 أكتوبر 1906م، وفي سن الحادية عشرة من عمره فقد والده، أي أنه عرف اليتيم في طفولته (الساحلي، تخلص التاريخ من الاستعمار، 1989)، فقامت عائلته بالتكفل بتعليمه، زاول دراسته الابتدائية والثانوية باللغة الفرنسية في المدرسة الأهلية الخاصة بالجزائريين وعلى الرغم من أنه نشأ وتربى في أسرة بسيطة وميسورة الحال نسبياً، لكنه اضطر إلى بيع حصته من الإرث العائلي، أي (ما ورثه من والده) (Sahli, 2009) لإكمال دراسته بالجزائر، فالتحق بمدرسة تكوين المعلمين ببوزريعة (المدرسة العليا للمعلمين)، وحصل على البكالوريا من ثانوية بيجو (الأمير عبد القادر حالياً) ثم واصل دراسته العليا بجامعة السوربون الفرنسية التي تخرج منها عام 1930 متحصلاً على الليسانس في الفلسفة.

في الثلاثينيات، وبعد إكمال دراسته العليا اشتغل أستاذاً بثانوية "هنري الرابع" بباريس لكن ذلك لم يدم طويلاً، حيث تم عزله من منصبه سنة 1939م، من طرف السلطات الفرنسية لأسباب سياسية (الساحلي، مقاومة الوطنيين بالشمال الأفريقي للاستعمار الروماني، 1938)، وفي سنة 1950، ونتيجة إنصاف العدالة له، استقاد من حكم قضائي تم بموجبه إعادة إدماجه في سلك التدريس إلى غاية 1957م.

زاول محمد الشريف الساحلي إلى جانب مهنة التدريس، نشاطاً سياسياً في أحضان الحركة الوطنية، فانضم إلى صفوف نجم شمال إفريقيا وبعدها حزب الشعب الجزائري، (الدين، محمد الشريف الساحلي فيلسوف ومؤرخ المدرسة التاريخية الجزائرية، 1998) وانخرط في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1948م، التي ساهم في تحرير صحفها، وتكوين مناضليها اعتماداً على التاريخ هويته المفضلة، (مناصرة، 2013) وكلف خصوصاً بكتابة المقالات التاريخية والسياسية في المجالات الفرنسية، وفي صحيفة الأمة والبرلمان اللتين كان يصدرهما الحزب منذ عام 1940م.

التحق في غضون النصف الثاني من عام 1955م، باتحادية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، حيث اضطلع فيها بمهام جديدة في جهاز النشر، الصحافة والدعاية والاتصال للثورة الجزائرية، ونشر عدداً من المقالات في جريدتي "المقاومة الجزائرية"، والمجاهد باللغة الفرنسية عام 1955م (الساحلي، المصدر السابق، 1989).

فالساحلي ليس من طينة أولئك المثقفين "غير التقليديين"، الذين يصرخون ضد القدر ودون أن يصيبوه بضرر، يزرع الشك والتشاؤم في الأذهان المترقية والنفوس الضعيفة، إن حياته بأكملها موجهة نحو الحركة وتنظيم الحركة المناهضة للاستعمار، انه يعطي مقدرة ذكائه (المعراجي، الفتى المسلم لسان الحالشباب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1952-1954، 2009) وتعبته وكفاءته، لاسيما في دراساته، أيضاً في تفانيه من أجل المصلحة العامة، وموهبته كصحافي، ومربي ومقاوم جعلته في خدمة مبتغاه بإنشائه أول مجلة باللغة الفرنسية "إفريقيا" وذات الاتجاه ال وطني، فسارت كالسهم برأس مـال لإحدى عشر مائة فرنك، جمعها بين مواطننا، وعلى الخصوص العمال والعمال اليدويين للمصانع، والتجار الصغار، والطلبة، مع العلم ان "مجلة إفريقيا"، توقفت عن الصدور أثناء الحرب، ولم تتحصل على الرخصة لتظهر من جديد، غداة انتصار الحلفاء. (المعراجي، المرجع السابق، 2009)

فمترجمنا مفكر ورجل حركة، وهو أيضاً مثال في الإحسان، والنزاهة الأدبية غير العادية والبساطة، فان تواضعه الأعلى، لا يكتشف سوى عند العلماء الحقيقيين، الذين يخدمون شعبهم مثل مارسل برينانت. وقد كانت "الساحلي" مجالس، ومناقشات مختلفة، خاصة مع الشيخ "محمد الشريف بن الشيخ" الذي فتح معه باب المناقشة في يوم من أيام سنة 1953-1954م، وكان مترجمنا آنذاك، في بداية شهرته بإصداره

كتاب (فارس العقيدة) عن الأمير عبد القادر، وظلت المناقشة على أشدها زهاء ساعتين، وذلك في بيت الشيخ، وانتهت المناقشة باعتراف الساحلي للشيخ بالتفوق العلمي، وقوة الحجة والبرهان، مما جعله يقبل رأس الشيخ، ويقول له: "لأبد من متابعة الحوار في جلسات أخرى، لأن مثل هذه الجلسات مفيدة للغاية".

مثل الشريف الساحلي جبهة التحرير الوطني في بلدان شمال أوربا، حيث من عام 1957 م، انتخب للعمل في الجبهة الدبلوماسية للدول الإسكندنافية، انطلاقا من ستوكهولم وقد ظل في موقعه حتى بعد الاستقلال سنة 1962م. (المعراجي، المرجع السابق، 2013)

ان الشريف الساحلي الذي ولد مع القرن، وعاش حياته في أغلبها خارج الوطن، تاركا خلفه تراثا عظيما ليس له من حيث كمه، وانما من حيث جودة المعالجة والأصالة في الارتكاز على المنطلقات الفكرية الوطنية، هذا التراث ألمه تعريفا بتاريخ الجزائر وتخليدا له، (الساحلي، المصدر السابق، 1989) عكف من خلاله على إبراز ضعف الطرائق المطبقة على التاريخ الكولونيالي منذ أكثر من مائة سنة، وكشف أغاليط الكتاب الفرنسيين حول تاريخ الجزائر. (الله، 2009م)

شيعت بالجزائر يوم 05 جويلية 1989، جنازة الدبلوماسي الجزائري، محمد الشريف الساحلي ودفنه بمقبرة العالية.

عاش مناضلا سياسيا، وكرس جل حياته لخدمة وطنه وكان صاحب سبق إعلامي بما نشره من مقالات صحفية، ومما كتبه من مؤلفات تاريخية، عرفت العام والخاص بالتاريخ الوطني للجزائر.

ومنه نخلص بأن الساحلي "وأمثاله من أبناء الجزائر الأوفياء سيظل التاريخ يذكرهم بالإجلال والتقدير والاعتزاز، فلننظر نحن بماذا يذكرنا التاريخ وهو شاهد لا يرحم، وعادل لا يظلم فلنتق الله في الجزائر، ولننسى أنفسنا كما نسي هؤلاء أنفسهم، وفي ذلك فقط قوتنا ونجاحنا.

لقد كان "الساحلي" ثائرا لا ينكسر، ومؤرخا لا يقهر، وفيلسوبا كالبحر لا يعبر، وأديبا لغويا عالما لا يجار ولا يبتتر، فملا الحزن قلب كل من عرفه، ولكن جهاده العلمي والفكري سيبقى مخلدا ما بقيت الحياة. (الدين، المرجع السابق، 1998)

2- كتابة التاريخ عند الشريف الساحلي:

1-2- دوافع توجهه لحقل التاريخ:

هناك جملة من الدوافع أدت بمحمد الشريف الساحلي للتوجه لحقل التاريخ، نذكر منها:

- * - التعريف بالتاريخ الوطني الجزائري بالدرجة الأولى.
- * - إعادة كتابة التاريخ الجزائري كتابة موضوعية، والخروج منه من الدائرة الضيقة التي وجد فيها عبر استخدام تقنيات البحث الحديث. (كعوان ف، 2011-2012)
- * - كشف التحريفات الكثيرة التي لحقت بتاريخ الجزائر، خصوصا في كتب المؤرخين الفرنسيين المنتمين إلى الإيديولوجية الاستعمارية، التي حاولت نفي وجود الأمة الجزائرية.
- * - الاهتمام بإبراز الشخصيات الكبرى على وجهها الحقيقي مثل: البطل الأمازيغي يوغرطة، بإصداره كتاب يتناول سيرته بعنوان "رسالة يوغرطة". (بوضربة، 2010)
- * - التصدي لفيروسات المدرسة الفرنسية القاتلة، التي سماها شعبنا "مدرسة الشيطان"، والتي كان من ضحاياها "مولود معمر" صاحب رواية "الربوة المنسية".
- * - الاستفادة من الإرث الاستعماري، في مجال المنهج والتدوين لإعادة كتابة تاريخ شامل للأمة الجزائرية عبر مختلف عصورها. (الدين، المرجع السابق، 1998)
- * - تحرير التاريخ من الاستعمار والاستعباد، مجسدا بذلك مقولة رواد الحركة، الإصلاحية، التي تنص على "أن تحرير الأذهان مقدم على تحرير الأبدان"، لأنه محال أن يتحرر بدن يعمل عقلا عبدا، ومن يرتاب في هذه الحقائق فلينظر إلى مستعمري الأذهان عندنا كيف أنهم ما يزالون عبيدا لمستعمرهم، رغم إخراجهم من أرضهم، وقد يكونون ممن أسهموا في هذا الإخراج، فهم يسارعون فيه، ويسترضونه، ويستعيرون مبادئه وأفكاره لتطبيقها على شعبنا. وبالتالي فكل ما نعرفه من إنتاج الساحلي "الفكري هو في التاريخ، وهذا فيه تلميحا إلى أن إحساسه باستعمار التاريخ كان كابحا له عن الإنسياع في دور الفلسفة والتحليق في جوها.

2-2- أعماله التاريخية:

مثل الشريف الساحلي دعاة استرجاع الاستقلال في كتابته للتاريخ، هذا التيار الذي لم تظهر كتاباته التاريخية إلا بعد الحرب العالمية الثانية، ويعود ذلك إلى ضعف التكوين من ناحية المثقفين القادرين على تحمل هذه المسؤولية من جهة، ومن جهة أخرى لإدراكهم أن الاتجاه الإصلاحية قد غطى جانبا مهما في هذا الاتجاه، مادام إن الكتابات التاريخية لهؤلاء تصب في نفس اتجاههم بحكم الاشتراك معهم في الإيمان بوجود أمة جزائرية إسلامية يحق لها

إقامة دولة الأمة. (لونيسى ر.، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954)، (2009)

وبحكم انتماء الشريف الساحلي لهذا التيار (دعاة استرجاع الاستقلال) فقد عبر في مختلف كتاباته عن أيديولوجيتهم منذ أن كان يتعاون مع جريدة (الأمة)، موليا اهتماما كبيرا بالتاريخ الوطني، لذا اعتبر من أبرز كتابهم. (لونيسى ر.، المرجع السابق، 2009)

ومن أبرز مؤلفاته: "رسالة يوغرطة" التي صدرت سنة 1947م، "الجزائر تُندد" الذي صدر سنة 1949م، "المؤامرة في وجه الشعوب الإفريقية" الذي صدر 1950م، "عبد القادر فارس العقيدة والايمان" الذي صدر عام 1953م، سي وكل هذه الكتب كتبها مؤلفها باللغة الفرنسية بحكم تكوينه الفرنسي. (الدين، المرجع السابق، 1998)

3- مؤلفاته:

1-3- كتاب "يوغرطة" وكتاب "عبد القادر فارس العقيد:

حاول الشريف الساحلي من خلال كتاب "رسالة يوغرطة" إبراز مدى التواصل بين كفاح هذا الشعب بالأمس ضد الرومان وجهاده اليوم ضد الاستعمار الفرنسي، ويستشف القارئ للكتاب مدى أهمية وحدة الأمة في نضالها ضد المستعمر، (لونيسى ر.، المرجع السابق، 2009) وهو من المؤلفات التي وظفت الماضي من أجل الحاضر واستخدمت الرموز التاريخية لدفع الحركة الوطنية. (سعدالله، 1998)

من أجل توحيد الجهود والمواقف اتجاه الاستعمار دفع تحرير البلاد، ونشير هنا إلى أن الساحلي لا يفصل بين الوطنية الجزائرية اليوم وتلك الوطنية التي كانت موجودة في عهد يوغرطة ضمن ما يسميه "الوطنية المغربية".

أما كتاب "عبد القادر فارس العقيدة" الذي نشر سنة 1953م، فقد أبرز فيه الأخلاق العليا للأمير عبد القادر (لونيسى ر.، المرجع السابق، 2009) من خلال التطرق لمختلف جوانب حياته، إذ تطرق إلى تكوينه وأخلاقه واصفا إياه بصفات راقية (الظاهر المغوار، الصارم، المتسامح، الحليم...)، (الساحلي، الأمير عبد القادر فارس الايمان، 2008) كأنه أراد أن يبين من خلاله عمق التقدم المعنوي والأخلاقي والروحي للجزائريين، مما يدحض الدعاية الاستعمارية التي تصفهم بالتخلف والهمجية والبربرية. (لونيسى ر.، المرجع السابق، 2009)

2-3- كتاب "الجزائر تندد:

ظهر سنة 1949م، جاء كنداء من أجل المحافظة على ما بقي من إرث بعد سياسة السلب والنهب الاستعمارية واعتبر ذلك واجبا تعده بالدعوة إلى الاستفادة من الأراضي المفقودة عن طريق حركة واسعة من "الاستيطان الوطني" (الدين، المرجع السابق، 1998)، أي بالعمل المعاكس و المتمثل في ضرورة قيام الجزائريين بإعادة امتلاك تلك الأراضي بشكل أو بآخر لأن الواجب الوطني يفرض علينا "ليس فقط الحفاظ على الأراضي المتبقية لدينا بل العمل من أجل استعادة الأراضي الضائعة منا"، ورغم تجرّمه مما فعله اليهود في فلسطين، إلا أنه في نفس الوقت رأي إمكانية الاستفادة من تجربتهم في شراء الأراضي. (لونيسى ر.، المرجع السابق، 2009)

3-3- كتاب "المؤامرة ضد الشعوب الإفريقية":

ظهر سنة 1950م تناول فيه قضية التوسع الأوربي الجديد في إفريقيا وهو المشروع الذي تلخص في دفع الأوروبيين إلى الهجرة نحو إفريقيا، واستيطانه بتعميم نظام "التمييز العنصري" بجنوب إفريقيا، على أن يعطى شمال القارة للأوروبيين في حين يبعد الأفارقة إلى جنوب القارة، كما ركز على قضية امتلاك الأرض في صيرورة الاستعمار وتطوره. (الدين، المرجع السابق، 1998)

ومن خلال هذا الكتاب رأي أن السياسات الاستعمارية تسير في خط متصل قائم على الإبادة والعنصرية منذ 1830 إلى الحرب العالمية الثانية، في ممارسات الهمجية كالسلب والنهب والعنصرية والقهر، وما الجزائر إلا مثال على ذلك بقوله "إن حصاد الكولون له الحق في 800 كغ من الحبوب في السنة، في حين كان يفرض على الأهالي الاكتفاء بحصة نظرية قدرها 5.7 كغ شهريا.

وقد اتبع تلك الصورة المعبرة عن القهر بتفسير يقوم على فكرة إن التجويع هو السلاح منذ المقاومة الشعبية والحركة الوطنية، شبيه لخلق جوا من الفساد والخوف والسوق السوداء رسمية ودائمة، إلا أن الاثنان ناتجتان عن نفس المبدأ وهو التقييد والإكراه وهما ينشدان نفس الغاية. (الدين، المرجع السابق، 1998)

4- المنهج والأهداف المتوخاة من كتابات الشيخ الساحلي:

1-4- المنهج:

اتبع الشيخ الساحلي منهجا علميا واضحا وعرضا تاريخيا أوضح من منهج سابقه، لا سيما الميلي وعبد الرحمان الجيلالي، فحاول الساحلي أن يكون موضوعيا في عرض الكثير من الأحداث التاريخية، وأن كانت قضية الموضوعية المطلقة بالنسبة للمؤرخ قضية نسبية بحكم ارتباطه بأمته، وانفعاله مع قضاياها. (كعوان ف.، 2011-2012)

نجد كتاباته خالية من الانفعالات العاطفية، كما استشهد بالنصوص الكثيرة المختلفة التي تدعم بحثه، وإن لم تكن تاريخيه بحته، بالإضافة إلى إثبات جداول تاريخيه تقيد الحوادث التاريخية الهامة التي وقعت على عهد الدولة التي أرخ لها في كل كتاباته، كما عمد إلى إثبات فهارس تاريخيه، بالإضافة إلى التوبيخ المحكم (مرتاض، 1998)، وترتيب الأدوار التاريخية، وذكر جداول الدول وتراجع بعض المشاهير (آخرون، 2009)، كذلك استخدامه للمخطوطات الأمر الذي يدل على مدى الصرامة والدقة المنهجية للشيخ الساحلي.

هذا الأمر الذي دفع البعض للقول "...إن تكوين الساحلي صلب وذو منهج موثق، وقد استخدم مصادر متنوعة ومختلفة باختلاف العصور.

2-4- الأهداف المتوخاة من كتابات الشيخ الساحلي:

- إثبات وجود الكيان والدولة الجزائرية قبل عام 1830 على عكس ما يدعيه المستعمر من أن الجزائر خالية من السكان.

- فضح التشويه الاستعماري للتاريخ ويؤكد ذلك بقوله "أن الاستعمار ما فتئ يستهدف تشويه التاريخ وماضينا"

- دحض فكرة المهمة التمدينية للاستعمار الفرنسي في الجزائر.

- كشف المحاولات والمخططات الاستعمارية الساعية للقضاء على الأمة الجزائرية وبخاصة ضرب مقوماتها المادية والمعنوية" من خلال فضح مختلف القوانين الاستعمارية منذ القرن التاسع عشر.

- فضح النهب الاستعماري لأراضي الجزائر بين ومختلف القوانين الصادرة بهدف تحقيق ذلك. (لونيس، 2009) ولأن الساحلي كان يؤمن بأنه في ضل البلاد الخاضعة للاستعمار لا مجال للتظلم والشكوى طلبا للعدل، الذي يرى فيه أنه لا معنى له، مهما تبذلت الأنظمة الاستعمارية التي يتحدد كل شيء فيها بميزان القوة ودون غيرها. (الدين، المرجع السابق، 1998)

راح ينظر في العمل المسلح للعمل المسلح، ويظهر ذلك من خلال تركيزه على مقاومه كل من لالة فاطمة نسومر والمقراني، والتتويه الدائم "بالروح الفدائية والاستشهادية للمسلمين التي لم تمت، وهي التي لازالت تحرك الشباب الجزائري، وتقدم دعما معنويا للمجاهدين من أجل القضية الوطنية. (لونيس، 2009) المرجع السابق،

النتائج ومناقشتها:

إن دراستنا لشخصية محمد د الشريف الساحلي في هذه الورقة البحثية قادتنا الى مجموعة من الاستنتاجات يمكن تلخيصها فيما يلي:

- ان الشريف الساحلي يعتبر من رجال التاريخ والوطن، ومعلم من معالم الثقافة والفكر ورمز من رموزها.

- كانت حياة محمد الشريف الساحلي موجهة بأكملها نحو الحركة وتنظيم الحركة المناهضة للاستعمار على الرغم من أنه نشأ وتربى في أسرة ميسورة الحال هذا الأخير الذي تمكن من تجنّب الصعاب وتكوين نفسه بنفسه، فتلقى تعليمه بالمدارس الفرنسية وجامعاتها التي تخرج منها، متحصلا على العديد من الشهادات من بينها ليسانس في الآداب وشهادة الدراسات العليا للفلسفة.

- موهبته كصحافي جعلته في خدمة مبتغاه بإنشائه أول مجلة باللغة الفرنسية "إفريقيا" بباريس، ذات التوجه الوطني، ومشاركته بكتابة المقالات التاريخية والسياسية في المجلات الفرنسية وخصوصا صحيفة الأمة والبرلمان لصالح القضية الجزائرية 1940.

- لعب دورا كبيرا في سبيل الحرية والاستقلال للجزائر فشارك وانخرط في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية وتحرير صحفها اعتمادا على التاريخ هوائيه المفضلة.

- عمل ممثلا لجبهة التحرير الوطني وناطقا باسمها في بلدان شمال أوروبا، بغرض تدويل القضية الجزائرية والحصول على الدعم والتأييد الدولي لقضية عادلة.

- كانت كتابات محمد الشريف الساحلي بمثابة المصادر الأولية عن التاريخ الوطني الجزائري، فهي غنية وثرية بمختلف المواضيع، كما أنها تحمل في طياتها وقائع وأحداث ربما لا يعرفها الجزائري، هذه الأخيرة التي كانت بمثابة المرصاد للكتاب الفرنسيين الذين حاولوا تشويه تاريخ الجزائر وطمس معالمه.

وبالتالي كانت حياة الساحلي حياة نضال دائم هذا الأستاذ الدبلوماسي المتقاعد والباحث والكاآب الذي لا يعرف إليه التقاعد سبيلا.

فعلى هذه الشخصية لا يزال فكرا خصبا غير مدروس وهو ما يبقي على العديد من التساؤلات

والاستفهامات حول العديد من القضايا الفكرية والتاريخية التي ستكون مواضيع الباحثين الجامعيين في المستقبل.

الخلاصة:

إن الذين يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام، ويعلمون ظواهر الأمور وهم عن ألبابها غافلون، وتحسبهم أيقاظا وهم

رقود سيتساءلون بعدما يعجبون: وهل يُستعبد التاريخ ويُستعمر حتى يُحرر؟

ولكن أيقاظ الضمائر، أحياء المشاعر، أصحاب الأبصار والبصائر يعلمون أن التاريخ يُستعمر كما تُستعمر الجغرافيا، لأنه لا جغرافيا بدون تاريخ، ألم يقل أحد الحكماء: "الجغرافيا جسد والتاريخ روح؟" وممن أدركوا أن التاريخ يُستعمر ويُستعبد المفكر والمناضل الجزائري محمد الشريف ساحلي، الذي قضى نصف عمره ساعيا لتحرير هذا التاريخ، قبل أن يبدأ السعي لتحرير الجغرافيا، مجسدا بذلك مقولة رواد الحركة الإصلاحية التي تنص على أن "تحرير الأذهان مقدم على تحرير الأبدان"، لأنه "محال أن يتحرر بدن يحمل عقلا عبدا". ومن يرتاب في هذه الحقائق فلينظر إلى مستعمري الأذهان عندنا كيف أنهم ما يزالون عبيدا لمستعمرهم رغم إخراجهم من أرضهم، وقد يكونون ممن أسهموا في هذا الإخراج...

فهم يسارعون فيه، ويسترضونه، ويستعبدون مبادئه وأفكاره لتطبيقها على شعبنا. لقد دعا محمد الشريف ساحلي إلى تحرير التاريخ في كتاب صغير الحجم كبير الشأن سماه بلغة المستعمر "Décoloniser l'histoire" وعربه من عربه تحت عنوان "تخليص التاريخ من الاستعمار".

إن الملاحظة التي لفتت نظري في محمد الشريف ساحلي هي أنه درس الفلسفة في السوربون، ودرسها في ثانويات باريس، ولكنه -فيما نعلم- لم ينتج فيها، فكل ما نعرفه من إنتاجه الفكري هو في التاريخ، أليس في هذا تلميحا إلى أن إحساسه باستعمار التاريخ كان كابحا له عن الإنسياح في دور الفلسفة والتحليق في جوها؟

والملاحظة الثانية هي أن إنتاج محمد الشريف ساحلي -رسالة يوغرطة"، و"الجزائر تتهم"، و"الأمير عبد القادر: أباطيل فرنسية، وحقائق جزائرية"، و"المؤامرة في وجه الشعوب الإفريقية"، و"الأمير عبد القادر فارس الإيمان"- نشره قبل استعادة استقلال الجغرافيا، وأما كتابه "تحرير التاريخ" فقد نشره في عام 1965، فكأنه يحذر كل من له قلب وعقل وعين وينبهه أن استقلال الجغرافيا ناقص، وقد يذهب، إن لم يعزز بتحرير التاريخ... وهذا ما غفل عنه بعض من وضعهم الأقدار في مقاعد المسؤولية ف "تبدل فيه الإحساس فلا يعود يحس إلا مصلحته الأنية، يعميه الحقد أو الرغبة، ويموت فيه الضمير، فيعيش الحاضر فقط، وينسى الماضي والمستقبل".

والملاحظة الثالثة هي نجاة محمد الشريف ساحلي من "فيروسات" المدرسة الفرنسية "القاتلة"، فبالرغم من تكونه في هذه المدرسة -التي سماها شعبنا "مدرسة الشيطان"- فإنه أعمل عقله، وأنعّم نظره في موادها فتبين له سليمها من سقيمها، وصحيحها من عليها... ولم يكن ببغاء كذلك الذي صاح ببغاء: "نحن لاتينيون" (nous sommes des latins) وقد تصدى لأحد ضحايا هذه المدرسة الاستعمارية، وهو مولود معمري، ورد عليه في روايته "الربوة

المنسية"، وسماها La colline du reniement ولا شك في أن مولود معمري وغيره هم ضحايا "تعليم استعماري"، كشف أهدافه محمد الشريف ساحلي في مقالين نشرهما في جريدة "الشباب المسلم". وأما الملاحظة الرابعة فهي أن محمد الشريف ساحلي لم يكن "عزرا"، فلم يخدع لبعض المؤرخين الفرنسيين الذين يزعمون الانفتاح ويدعون الأمانة، ومع ذلك لم يسلموا من النزعة الاستعمارية، مثل شارل أندري جوليان، تلميذه شارل روبير أجرون.. وآخرين من دونهما لا يعلمهم إلا قليل... وقد وفق محمد الشريف ساحلي إذ لم يسم أولئك "مؤرخين" ولكنه سماهم: "كتبة السيطرة الاستعمارية، لأنهم خانوا الضمير العلمي، والموضوعية، وقبلوا أن يكونوا أذنا صاغية لا قلوبا ولا عقولا واعية، واعتبرهم منفذين لمؤامرة، رأسهم فيها هما إميل فيلكس جوتيي، وستيفن جزال، وأما مكان المؤامرة، الذي سماه محمد الشريف "الوكر الأيديولوجي" فهو جامعة الجزائر، التي احتفل بعض الجزائريين بمرور قرن على تأسيسها (2009)، فذكرونا بأولئك "الجزائريين" الذين احتفلوا بمرور قرن على احتلال الجزائر، إنهم يحنون لمصطلح "أنديجان".

لقد أكد محمد الشريف ساحلي أن تاريخ الجزائر "أصبح منذ 1830 حكرا على العلم الفرنسي، وأن هذا التاريخ أصبح أداة دعاية تخدم حقيقة رسمية، أي تخدم نظرة الدولة الفرنسية، التي ما تزال تتوقح فتسن قانونا "يمجد" جرائمها في الجزائر وهي جرائم يخل منها ويتوارى أعنى المجرمين وأطغاهم، وفي الوقت نفسه تضغط على (...). في الجزائر ليمنعوا إصدار قانون يجرمها على أفعالها، وتأتي أن تعيد ما سرقت من وثائقنا لنكتب تاريخنا كتابة صحيحة بما له وما عليه.. ولكن إن لم تتوفر هذه الوثائق فينبغي ألا نبقي ممن سماهم ساحلي "وثني الوثيقة المكتوبة" وما دعا إليه ساحلي في ميدان التاريخ، دعا إليه أيضا في علم الاجتماع.

المراجع:

Travaux cités

(بلا تاريخ).

Sahli, M. C. (2009). *decoloniser histoire*. Alger: Ministere de la culture.

- الدين, أ. ش. (1998). *المرجع السابق*. الجزائر: اتحاد المؤرخين الجزائريين.
- الدين, أ. ش. (1998). *المرجع السابق*. الجزائر: دار الهدى.
- الدين, أ. ش. (1998). *المرجع السابق*. الجزائر: دار الهدى.
- الدين, أ. ش. (1998). *المرجع السابق*. الجزائر: اتحاد المؤرخين العرب.
- الدين, أ. ش. (1998). *المرجع السابق*. الجزائر: اتحاد المؤرخين الجزائريين.
- الدين, أ. ش. (1998). *المرجع السابق*. الجزائر: اتحاد المؤرخين الجزائريين.
- الدين, أ. ش. (1998). *المرجع السابق*. الجزائر: دار هومة.
- الدين, أ. ش. (1998). *محمد الشريف الساحلي فيلسوف ومؤرخ المدرسة التاريخية الجزائرية*. الجزائر: دار القصة.
- الساحلي, م. أ. (1989). *المصدر السابق*. الجزائر: دار الهدى.
- الساحلي, م. أ. (1989). *المصدر السابق*. الجزائر: دار القصة للنشر.
- الساحلي, م. أ. (1989). *تخليص التاريخ من الاستعمار*. الجزائر: دار القصة للنشر.
- الساحلي, م. أ. (2008). *الأمر عبد القادر فارس الإيمان*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع.
- الله, م. (2009). *قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائري*. الجزائر: منشورات بلوتو.
- المعراجي, م. أ. (2009). *الفتى المسلم لسان الحاشباب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1952-1954*. الجزائر: دار ثالة للنشر والتوزيع.
- المعراجي, م. أ. (2009). *المرجع السابق*. الجزائر: دار ثالة للنشر والتوزيع.
- المعراجي, م. أ. (2013). *المرجع السابق*. الجزائر: دار ثالة للنشر والتوزيع.
- بوضربة, ع. (2010). *النشاط الديبلوماسي للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية 1958-1960*. الجزائر: دار الحكمة.
- سعدالله, أ. أ. (1998). *تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1500)*. لبنان: دار الغرب الاسلامي بيروت.
- كعوان, ف. (2011-2012). *المرجع السابق أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه*. (p. 98) الجزائر: جامعة منتوري-قسنطينة.
- كعوان, ف. (2011-2012). *المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي 1830-1962 مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري*. جامعة منتوري (p. 110) قسنطينة: قسم التاريخ والآثار.
- لونيسبي, ر. (2009). *التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1954-1920)*. الجزائر: كوكب العلوم.
- لونيسبي, ر. (2009). *المرجع السابق*. الجزائر: كوكب العلوم.
- لونيسبي, ر. (2009). *المرجع السابق*. الجزائر: كوكب العلوم.
- لونيسبي, ر. (2009). *المرجع السابق*. الجزائر: كوكب العلوم.
- لونيسبي, ر. (2009). *المرجع السابق*. الجزائر: كوكب العلوم.

- لونيسى, ر. (2009). *المرجع السابق*. الجزائر: كوكب العلوم.
- لونيسى, ر. (2009). *المرجع السابق*. الجزائر: كوكب العلوم.
- لونيسى, ر. (2009). *المرجع السابق*. الجزائر: دار كوكب العلوم.
- محمد الشريف الساحلي. (1938). *مقاومة الوطنيين بالشمال الافريقي للاستعمار الروماني*. البصائر، 08.
- مرتاض, ع. ا. (1998). *نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1920-1954*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- مناصرية, ي. (2013). *دراسات وأبحاث حول الثورة التحريرية 1954-1962*. الجزائر: دار هومة.
- وآخرون, ع. ا. (2009). *منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية*. الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1954.

: